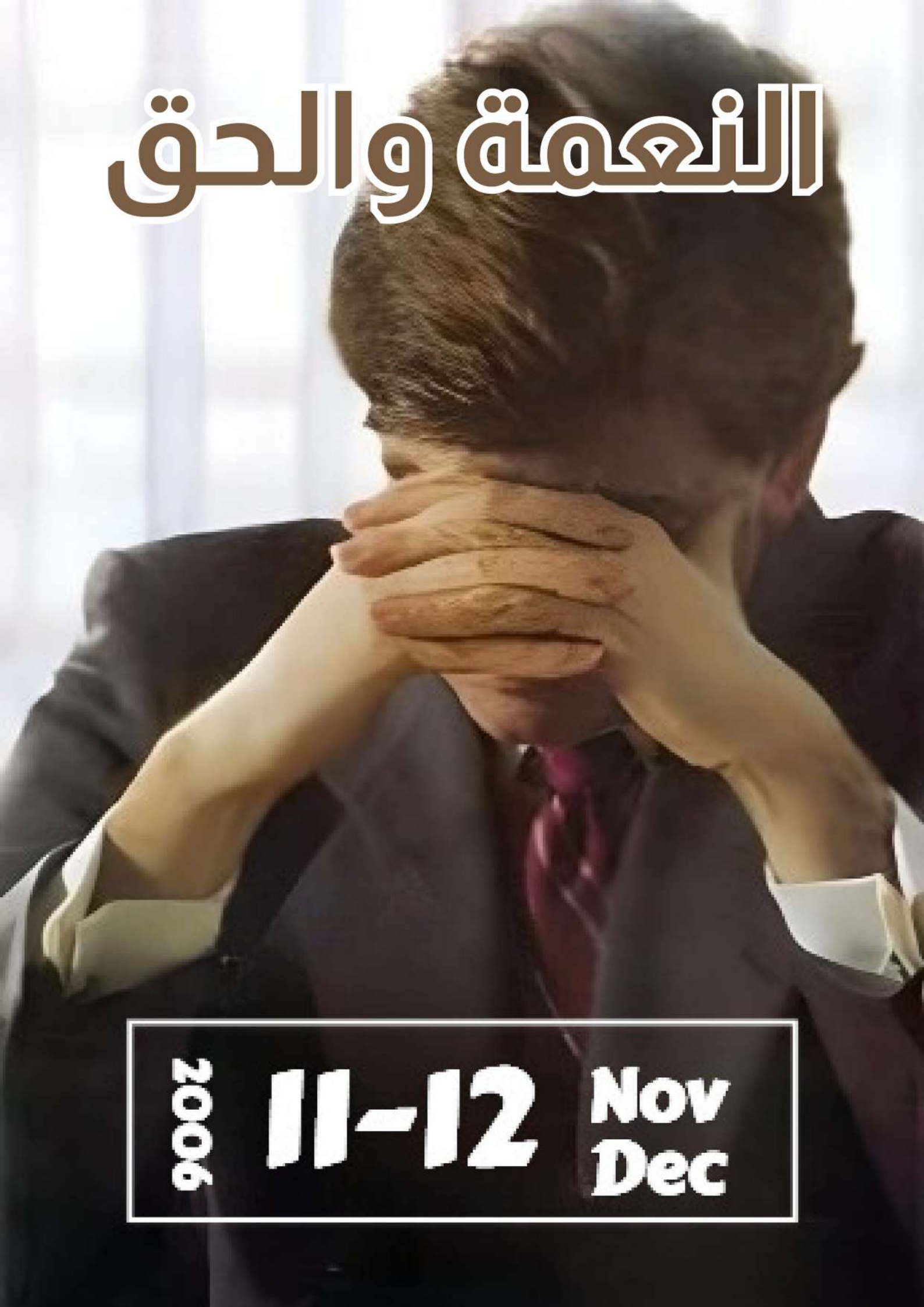
النعمة والحق
11-12 Nov Dec
2006

افتتاحية العدد

كيف نقوّي شركة الكنيسة؟

«وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعاً وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً» (أع ٢:٤٤)

في مقال بعنوان "كلمة ختامية"، عرض مؤلف الخيال العلمي Kurt Vonnegut ما ظنّه مطلوبًا للحصول على السعادة الحقيقية، فبدأ بالنظر إلى الماضي عندما كانت هناك مجتمعات حقيقية عرف الناس فيها بعضهم البعض، وساعدوا بعضهم البعض، وتزاوروا فيما بينهم، وتشاركوا فيما امتلكوا، ثم قابلَ بينها وبين الحاضر قائلاً: "لم يعد هذا ممكنًا الآن إلا فيما ندر، فكل عائلة أصبحت محبوسة في صندوق صغير... لا توجد بيوت يمكن للمرء الذهاب إليها حيث يجد مَن يهتم به... أين ذهبت القِيَم القديمة؟... إننا متوحّدون."

واختتم مقاله باقتراح الحل التالي: "سيكون البشر أسعد عندما يجدون طرقًا يكونون بها أكثر راحةً معًا، كي يكون لهم توجّهات أكثر وخبرات أكثر مشتركة فيما بينهم". ألا يعكس هذا الحل الآية التي في صدر المقال؟ إن السؤال الكبير، والذي لا يجيب عليه ذلك الكاتب، هو: "كيف يمكننا أن نحقق هذا؟"

يصف أعمال ٢:٤٤ توجّه الكنيسة الأولى، والذي يستنتج المؤمنون جميعًا، عند مقارنته بالوضع الحاضر، أن هناك شيئًا مفقودًا – لا بسبب قلة الاجتماعات، بل لأن الشركة قد أصبحت نشاطًا خاصًا بدلَ أسلوب حياة.

هل اختزلنا الشركة إلى اجتماعات فقط؟ هل تبدأ وتنتهي علاقتنا بهؤلاء الذين لنا معهم "شركة" عند باب الاجتماع؟ هل بيوتنا مفتوحة لإخوتنا المؤمنين؟ وماذا عن قلوبنا وأيدينا؟ هل لدينا وقت لبعضنا البعض؟ ينبغي أن أعضاء الجسد تعمل معًا كل الوقت، وليس عند الأزمات فقط (١كو ١٢:٢٥-٢٧).

إن الطريقة الوحيدة لتقوية الشركة الكنسية هي أن يكون لنا " توجّهات أكثر وخبرات أكثر مشتركة فيما بيننا"، ليس لأن قال ذلك، بل لأن هذا ما تقوله كلمة الله.

إننا نرجو أن تكون مقالات هذا العدد عن "الكنيسة في سفر الأعمال" بركة لك.

موضوع العدد (١)

مفهوم «الكنيسة» في سفر الأعمال

بقلم: مارتن جيرارد

كاتب سفر الأعمال هو لوقا، ذات كاتب الإنجيل الثالث، وقد كان السفران، أصلاً، مُجلّدًا واحدًا، كما تُكوّن الأعداد الافتتاحية لإنجيل لوقا، في الواقع، مقدمةً لسفر الأعمال؛ وهو سفره الثاني. وقد كان غرض لوقا من الكتابة هو أن يحصل ثاوفيلس ("المحبوب من الله") على عرض دقيق لنمو المسيحية منذ أيامها الأولى.

ويبدو أن مجلّد لوقا قد اكتمل نحو عام ٦٢م، لكن عنوان "أعمال الرسل" لم يظهر حتى القرن الثاني الميلادي؛ وحيث أنه لم يظهر فيه سوى ثلاثة من الرسل الأصليين (بطرس ويعقوب ويوحنا)، ثم قام بأغلب "الأعمال" المسجلة فيه بولس وبطرس، فمن الأليق أن ندعوه "سفر أعمال الروح القدس" إذ قد ذكره لوقا أكثر من خمسين مرة في السفر.

وقد شُبِّهَ سفر الأعمال بنافذة وبجسر؛ فهو كالنافذةٍ يُمكّننا أن ننظر إلى الكنيسة الأولى فنرى كيف اجتمعت الجماعات المحلية من المؤمنين وكيف اشتركت في الكرازة. وهو كالجسر يربط بين الأناجيل والرسائل، كما يبين الانتقال من اليهودية إلى المسيحية، وفيه نرى رفض اليهود للإنجيل وقبول الأمم له، ورد فعل الرومانيين له.

وقد اختص جزء كبير من السفر بسرد ما حدث من إلقاء القبض على بولس ووقوفه أمام محاكم مختلفة؛ وبدخوله إلى تلك التفاصيل في الإصحاحات الختامية، فإن لوقا يؤكد ما سبق وعرضه من أن المسيحية لا تشكل تهديدًا للقانون والنظام الروماني – سواء في فيلبي أو تسالونيكي أو كورنثوس أو أفسس، بل كان من الممكن أن يطلق الرومان بولسَ حرًا لو لم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر (أع ٢٦:٣٢). كان من الواضح أن الأمم ليسوا أعداء الإنجيل الرئيسيين، بل اليهود.

فكرة رئيسية

هناك ثلاث عبارات هامة جدًا في سفر الأعمال تستحق انتباهنا. فقرب بداية السفر نجد تسجيلاً لكلمات الرب قبل صعوده، وقبل أن يترك تلاميذه، وضع لهم الخطوط العريضة لعملهم. سيأتي الروح القدس ويعطيهم قوة ليكونوا له «شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أع ١:٨). وقد أُعطِيَ الروح القدس يوم الخمسين، وتُبيّن بقيةُ سفر الأعمال كيف تمت الكرازة بالإنجيل بقوته في أورشليم، واليهودية، والسامرة، ثم – عن طريق رحلات بولس– «إِلَى

أَقْصَى الأَرْضِ». وقد وصل الإنجيل في نهاية السفر إلى روما؛ أكثر مدن الأمم نفوذًا في ذلك الزمان.

نقطة تحوّل

وتأتي العبارة الهامة الثانية قرب منتصف السفر، عندما كرز بولس، في رحلته التبشيرية الأولى، في المجمع في بيسيديّة بأنطاكية. كان مستمعوه من الأمم في غاية الشغف لمعرفة المزيد، وفي السبت التالي كان المجمع ممتلئًا، لكن اليهود، المملوئين حسدًا، جعلوا يناقضونه، فواجه بولس وبرنابا مقاوميهم قائلين «كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلاً بِكَلِمَةِ اللهِ وَلَكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ» (أع ١٣:٤٦). لقد أطاع بولس وبرنابا الرب في إيصال الرسالة إلى اليهود أولاً، لكن رفضهم الحاسم فتح الباب للمرحلة التالية: سوف تتجه الرسالة الآن للأمم، وهو ما يصفه بقية السفر. وقد تزايد مَن دخل مِن الأمم، لا من اليهود، إلى دائرة البركة.

الاستمرارية

والعدد الأخير من سفر الأعمال هو أيضًا عدد هام، إذ كان بولس قد وصل إلى روما «كَارِزاً بِمَلَكُوتِ اللهِ وَمُعَلِّماً بِأَمْرِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ بِلاَ مَانِعٍ» (أع ٢٨:٣١). وهي خاتمة تبدو غير معتادة، وتقودنا للتساؤل عن السبب الذي جعل لوقا ينهي مجلده بهذه الصورة المفاجئة؛ وفي هذا الصدد هناك سببان: الأول، هو أنه لم يكن هناك تاريخ لتسجيله عند تلك النقطة، لأن لوقا كان معاصرًا للأحداث. لكن هناك سببًا آخَر؛ يبدو سفر الأعمال "غير منتهٍ" لأن تاريخ الكنيسة لم ينتهِ بعد، ولا بد أن يستمر عمل الكرازة، فإلى أن يأتي المسيح، نحن مسئولون أن نجعله، بكل الثقة، معروفًا للجميع.

موضوع العدد (٢)

ميلاد ونموّ الكنيسة في سفر الأعمال

بقلم: بل فان رن

الإعلان عن الكنيسة

أول ما نسمع عن الكنيسة هو في رد الرب على اعتراف بطرس المدوّي بحقيقة المسيح وألوهيته «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضاً: أَنْتَ بُطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (مت ١٦:١٥-١٨).

ثم يستطرد بولس «وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ» (أف ٢:٢٠). لقد بيّن بطرس بوضوح أن يسوع هو حجر الزاوية في الكنيسة، وأيّد كلامه من العهد القديم بأقوال إشعياء النبي (١بط ٢:٤-٦، إش ٢٨:١٦). إن الرب يسوع نفسه هو الصخرة التي تأسست عليها الكنيسة، وقد صار هكذا عندما وضع حياته ليفدي الناس الذين منهم تتكون الكنيسة (أف ٢:١١-٢٢، أع ٢٠:٢٨). وتعليم يسوع، عن طريق رجال أعدهم وأرسلهم كوكلائه الأولين، هو أساس الكنيسة الظاهرة الفعّالة. وهذا التعليم ذاته، عن طريق الكتاب، هو الوسيلة التي بها تنمو الكنيسة، وهو أساس حيويتها وعملها.

وقد أعطى الربُ يسوع رسلَه تعليماته، في درسٍ طال أربعين يومًا بعد قيامته وقبل ارتفاعه إلى أبيه، مختتمًا حديثه بأمرٍ أخير «اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ» (مت ٢٨:١٩-٢٠).

بداية فعّالة

بدأ وجود الكنيسة الفعّال على الأرض بقوة، بعد عشرة أيامٍ فقط في أورشليم عندما أتي الروح القدس الموعود به ومعه رسالة بلغات عديدة عن عظمة الله الرائعة (أع ٢:١-١١). وتكلم بطرس – وهو أحد المتحدثين البارزين في تلك الأيام– إلى حشد من بلدان كثيرة، بقوة ذلك الروح، وفورًا ابتدأ النمو باستجابة ٣٠٠٠ شخص للرسالة، ونوالهم الخلاص، وانضمامهم إلى الجسد المتكوّن حديثًا (٢:٤١).

ثم في يومٍ لاحِق، نظر بولس إلى هذا الحدث، واستخدم مركزه الرسولي، فعلّم مؤمني كورنثوس كاتِبًا «لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً.

وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً» (١كو ١٢:١٣). ويلفت النظر أنه يقول «جَمِيعَنَا» على الرغم من أنه لا بولس ولا مؤمني كورنثوس كانوا حاضرين في ذلك اليوم الأول، لكنه ضمّهم جميعًا، معلِّمًا إيانا أن الكنيسة أصبحت كيانًا أبديًا – كائنًا حيًا بواسطة معمودية الروح القدس للمؤمنين الذين جمعهم إلى واحد، شاملاً جميع المؤمنين من ذلك اليوم فصاعدًا.

وبعد ذلك اليوم التأسيسي؛ يوم الخمسين – بدأ الرسل خدمتهم التعليمية (مت ٢٨:١٩-٢٠)، معلّمين وراعين المؤمنين، واستمر الروح في إضفاء شكل وحيوية ونمو للمجتمع الجديد الذي كان يواظب «عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ وَالشَّرِكَةِ وَكَسْرِ الْخُبْزِ (أي عشاء الرب، وقد يُستخدم هذا التعبير للإشارة إلى وجبة عادية) وَالصَّلَوَاتِ» (٢:٤٢).

وقد استخدم الله الرسل بقوة، وكلاءً وشهودًا على حضوره وقدرته «وَصَارَ خَوْفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ. وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعاً وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً... كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احْتِيَاجٌ. وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُواظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ» (٢:٤٣-٤٧).

هجوم العدو من الخارج

استمرت القوة ومعها التناغم، وعمل الله الأعمال المعجزية من خلال الرسل، فشفى بطرس ويوحنا رجلاً مقعدًا منذ ولادته.

عندما وعد الرب أن «أَبْوَابَ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى» على الكنيسة، فقد أشار بوضوح إلى هجمات قوى الشيطان وكل مقاومة لله ومسيحه، وهي الهجمات التي بدأت باكرًا عندما تحدت المؤسسة الدينية بطرس ويوحنا كي يفسرا «بِأَيَّةِ قُوَّةٍ وَبِأَيِّ اسْمٍ صَنَعْتُمَا أَنْتُمَا هَذَا؟» (٤:٧). لكن بطرس لم يُجِب الإجابة القصيرة المباشرة، لكنه استخدم الفرصة مقدمًا تحديًا استفزّ رد فعل عنيف ممن وقعوا تحت تأثير تلك المقاومة؛ لقد أعلن أن الشفاء تم «بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمُ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ»، ثم قدّم لهم كرازة قوية «وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (٤:١٢).

وكانت النتيجة أن تم سجنهما وتهديدهما من قبل السلطات الدينية، لكن «لَمَّا أُطْلِقَا أَتَيَا إِلَى رُفَقَائِهِمَا وَأَخْبَرَاهُمْ بِكُلِّ مَا قَالَهُ لَهُمَا رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ»، ثم انطلقوا بأناشيد التسبيح، مُذكّرين الله وأنفسهم كيف أن نفس هذه السلطات قاوم الرب يسوع نفسه «وَالآنَ يَا رَبُّ انْظُرْ إِلَى تَهْدِيدَاتِهِمْ وَامْنَحْ

عَبِيدَكَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلاَمِكَ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ بِمَدِّ يَدِكَ لِلشِّفَاءِ وَلْتُجْرَ آيَاتٌ وَعَجَائِبُ بِاسْمِ فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ وَلَمَّا صَلَّوْا تَزَعْزَعَ الْمَكَانُ الَّذِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهِ وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِكَلاَمِ اللهِ بِمُجَاهَرَةٍ» (٤:٢٣-٣٠).

بدلاً من أن يقول للرب أنهم شعروا أنه من الحكمة أن "يطأطئوا رؤوسهم" حتى تمر موجة الاضطهاد، سألوه أن يعينهم كي يستمروا في نشر الكلمة بكل مجاهرة كما فعلوا من قبل، وتشدد التزامهم من نحو الكنيسة ومن نحو الشهادة بقيامة المسيح، فكانت العواقب المتوقعة أن أتت هجمات أكثر من أبواب الجحيم.

هجوم العدو من الداخل

أتى الهجوم التالي من الداخل؛ كانت الكنيسة تشترك في كل شيء، لكنّ زوجين، حنانيّا وسفّيرة، اشتركا في ذلك بدوافع غير نقية تمامًا، إذ باعا من ممتلكاتهما، كما كان الكثيرون يفعلون، وأحضرا جزءًا من قيمتها إلى صندوق التوزيع، متظاهرين أنها كل الثمن. وإذ شعر بطرس بالخداع، واجه حنانيّا واتهمه بالتعاون مع الشيطان ومحاولة خداع الروح القدس (٤:٣٢-٥:٤). كان بطرس هو الواسطة، لكن الله كان هو المقصود بالخداع. ثم سقط حنانيا ميتًا! وبعدها بثلاث ساعات جاءت زوجته، ولاقت نفس المصير بعد المساءلة فماتت هي الأخرى فورًا.

يبدو هذا العقاب، في أيام التسيّب الحاضرة، كبيرًا جدًا بالنسبة "للجريمة"، ونتعجب كيف أن الله يدين بهذه الشدة، لكن دعونا نتذكر أنها جرائم ضد الله نفسه:القاضي الأعلى في الأخلاقيات والعدالة. وكان للروح القدس مطلق الحرية في توسيع هذا المشروع الجديد المدعو "الكنيسة"، وأقل اضطراب أخلاقي يحزنه (أف ٤:٣٠)، ويعيق حريته. ولأن الله كان في مرحلة إقامة الكنيسة، فلم يكن من الممكن أن يتحمل أية إعاقة، لذلك كان من الضروري أن يعطي الناس عبرةً، ويضع المعايير.

كان حنانيا وسفيرة مثالين، ولكن هل هما في السماء؟ أظن ذلك، لأننا لا نرى الله يدين غير المؤمنين ويحكم عليهم بهذه الطريقة النهائية في فترة النعمة هذه، بل يتأنّى عليهم (٢بط ٣:٩)، أما المؤمنون فيعرفون أفضل وهم مسئولون. لقد كانا في أمان من جهة حياتهما الأبدية، أما تأثير فشلهما وموتهما فكان قويًا «فَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَنِيسَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذَلِكَ» (٥:١١)، فظهرت قداسة الله وعدله، وتحذّر المؤمنون، وأخذ الإنجيل دفعة جديدة (٥:١٢-١٦).

اضطهاد الكنيسة

ازداد، بالطبع، الاضطهادُ على المؤمنين والقادة، مصحوبًا بعمل الله العظيم، فسُجِنَ الرسل ثانيةً، لكن ملاك الرب أطلقهم في الليل كي يتابعوا التعليم في الهيكل باكرًا، ثم أرسل القادة الدينيون ثانيةً – وهم متحيّرون من عدم وجودهم في السجن– وأحضروهم، لا بعنف، إلى المجمع وعنّفوهم بشدة لمتابعتهم التعليم بعكس ما أمروهم به، فأجاب الرسل، مستندين على سلطان قائدهم الرب يسوع المسيح: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ»، فاستمعوا، بالرغم من حنقهم، إلى غمالائيل الذي كانوا يوقرونه، وأطلقوهم بعد جلدٍ لا داعي له وتحذير صارم من الكرازة باسم يسوع (١٧:٥–٤٠).

كانت نوعية النمو الذي نمته الكنيسة ظاهرًا في رد فعلهم إزاء الاضطهاد «وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ. وَكَانُوا لاَ يَزَالُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ مُعَلِّمِينَ وَمُبَشِّرِينَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ»، وكانت جرأتهم مقياسًا لإيمانهم كأتباع للرب يسوع، فهل نجرؤ على قياس أنفسنا عليهم؟

ثم جاء هجوم داخلي آخَر في صورة احتكاك عرقي بين اليهود من خلفية يونانية واليهود من خلفية فلسطينية من جهة التوزيع للمعوزين[١] (أع ٣٤:٤)، فأمر الرسل، بحكمة إلهية، أن تختار الكنيسة سبعة رجال للتوزيع بعدل، حتى لا ينصرف اهتمام الرسل عن كلمة الله واحتياجات الكنيسة (١:٦–٤).

وكانت النوايا الحسنة المتصفة بالحكمة واضحة في اختيار رجال يونانيين – وهم الطرف المتضرر– كي يوزعوا بعدل. وكانت المتطلبات الروحية من هؤلاء الشمامسة الأوائل مرتفعة جدًا، لكي تؤكّد أن أية خدمة لله وكنيسته هي عمل روحي يتطلب عاملين مرتفعي المستوى (٣:٦–٥)، وإذ تم حل المشكلة، استمر العمل بحرية (٧:٦).

وقد ظهرت بسرعة نوعية هؤلاء الرجال في واحد منهم ممتلئ بالروح، هو اسطفانوس الذي صار قويًا لدرجة أن حشدًا من أبواب الجحيم هاجمه، ورأت المحكمة المنعقدة وجهه كوجه ملاك وهو يقدم خطابًا دفاعيًا توبيخيًّا لاذعًا طَلِقًا، قبل إعدامه، فأثبت أنه شهيد يليق بسيده (١:٧–٦٠).

انتشار الكنيسة

بدلاً من أن تكون هذه الحادثة مأساة، تحولت واقعة الاستشهاد الأولى إلى عامل حفزٍ لنشر الإنجيل إلى "أقصى الأرض". بدايةً، انتعش إصرار العدو على محو رسالة قيامة المسيح «وَحَدَثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ» لكنهم لم يختبئوا، بل

---

[١] IVP Bible Background Commentary.

في روح أعمال ٢٩:٤ «يَا رَبُّ... امْنَحْ عَبِيدَكَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلاَمِكَ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ» «فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ» (٤:٨).

"دماء الشهداء هي بذار الكنيسة" – جملة محفوظة لكنها حقيقية، فحادثة استشهاد واحدة نشرت الإنجيل «فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ».

ثم ذهب واحد آخَر من هؤلاء الشمامسة، وهو فيلبس، إلى السامرة وقدّم الإنجيل لأول مرة للناس الذين كان اليهود يرفضون التعامل معهم (يو ٩:٤)، فكان حصاد عظيم؛ ربما كان مؤسسًا في الأصل على عمل الرب يسوع نفسه من خلال امرأة سامرية خاطئة شهدت لأهل بلدتها (يو ٢٧:٤–٤٢).

ثم أرسل الروح القدس فيلبس ليقابل مسئولاً حكوميًا حبشيًا واحدًا على الطريق بالقرب من غزة على الحدود الجنوبية لإسرائيل (أع ٢٦:٨–٤٠). وعن طريق ترتيب أحداثٍ معجزي، وجد فيلبس الجزء الكتابي والعِظة في انتظاره، فبشر الحبشي وعمّده وأرسله ليزرع الكنيسة في بلده، ومن ثمَّ في القارة الإفريقية. واليوم، تعزو كنيسة إثيوبيا بدايتها إلى تلك المقابلة، فالكنيسة كائن حيّ ينمو.

تبع هذا تجديد شاول الطرسوسي (أع ٩)، وإعداده كأعظم مبشر على الإطلاق في تاريخ الكنيسة، وفي أعمال ١٠ أعطى الروح القدس لبطرس دورة تدريبية مكثفة في الارتقاء فوق التحزّبات التقليدية كي ما يستطيع أن يأخذ الإنجيل إلى الأمم – ولا أقل من الرومان منهم! فقد أرسل «كَرْنِيلِيُوسُ قَائِدُ مِئَةٍ مِنَ الْكَتِيبَةِ الَّتِي تُدْعَى الإِيطَالِيَّةَ» ليحضر بطرس ومعه رسالته، فعرفت أوروبا الإنجيل عن طريق بطرس وبولس.

ونلاحظ أمرين تميزت بهما تلك المرحلة الابتدائية من تاريخ الكنيسة: التزام المؤمنين التام من نحو الله ومن نحو بعضهم البعض ومن نحو سيادة الروح القدس، وشدة هجمات العدوّ.

ليعطنا الرب أن نكون متاحين دومًا لاستخدامه بطرقٍ لم نتوقعها أو حتى نتخيّلها، حتى تستمر رسالته في النمو والوصول إلى كل الأمم.

موضوع العدد (٣)

خمسة مبادئ في فريق الله الكنسي

بقلم: توم بالمر

من الشائع جدًا، عندما نقرأ سفر الأعمال، أن نركّز اهتمامنا على بطرس وبولس، وهما حقًا قد عَمِلا لله عملاً عظيمًا في نشر الإنجيل، وأثّرا في تأسيس الكنيسة الأولى، إلا أن سفر الأعمال يخبرنا عن آخرين ممن كانوا أمثلة رائعة لنوعية الرجال الذين تحتاجهم الكنيسة.

١. إسطفانوس: الملء بالروح

يخبرنا أعمال ٦:٣-٥ أنه تم اختيار إسطفانوس لعمل قيادي لأنه كان ممتلئًا من الروح القدس. لقد امتلك الروح القدس، وامتلكه الروح القدس بالكامل، فبدلاً من أن يعيش تحت سيادة الذات، عاش إسطفانوس تحت سيادة الروح القدس. وقد كرز برسالة الإنجيل في أعمال ٧ فبكت ضمائر السامعين بشدة، وكان رد فعلهم أن «صَرُّوا بِأَسْنَانِهِمْ عَلَيْهِ» (٧:٥٤). وكان من السهل أن ينتج الغضب عن مثل هذا الهجوم القاسي على رجل الله، وهو من أعراض الحياة المتمركزة حول الذات، لكن إسطفانوس ظل في تركيزه على الرب وجثا ليصلى وهم يرجمونه حتى الموت. إن الناس الممتلئين من الروح يعطونه فرصة لينتج فيهم شبهًا بالمسيح حتى في أقصى الظروف. إن ثمر الروح هو نتاج حياة يسودها الروح.

٢. فيلبس: المشاركة

لم يفوّت فيلبس أبدًا فرصة يكرز فيها، ولم يكن يهتم إن كانت الكرازة للجموع في السامرة أو لرجل واحد من الحبشة. والإصحاح الثامن من الأعمال هو سرد مدهش للكيفية التي ترك بها المبشر حملة كرازية غطت المدينة ليذهب إلى الصحراء ويصل لرجل واحد، وهناك قاده الروح لأن يشرح المكتوب ويشارك بإنجيل يسوع المسيح، فآمن الوزير الحبشي بيسوع واعتمد، ويخبرنا التاريخ أنه أول مَن أخذ الإنجيل إلى أفريقيا. لقد استخدم الله فيلبس، لا لينقل الإنجيل إلى مدينة أو شعب فقط، بل إلى قارة بأكملها. إن من يحبون المشاركة ينتهزون كل فرصة لإيصال الإنجيل، ولهم حساسية من جهة احتياجات مَن حولهم.

٣. حنانيا: التسليم

صار شاول إرهابيًا حقيقيًا مدفوعًا بالغيرة الدينية، مضطهدًا الكنيسة الأولى. ثم تقابل مع المسيح، وانتظر وحيدًا في دمشق حتى يأتيه أخ في المسيح ويخدمه. وكان حنانيّا هو الرجل الذي اختاره الله لهذه المهمة التي كان من الممكن أن تجعله يتراجع، لكنه أجاب ببساطة «هَأَنَذَا يَا رَبُّ» (١٠:٩)، ولم يجادل مع الله بل جعل نفسه متاحًا لأي شيء أراده الله، لأن مشيئة الله حظت بأولوية عن إرادته الذاتية، فاستخدم الله حنانيا لمساعدة شاول كي يخطو خطواته الأولى كمسيحي.

إن مَن يعيشون بالتسليم يُخضعون إرادتهم لمشيئة الله، ويسعون – بإرادتهم– لمعرفة وإتباع وإتمام مشيئة الله في حياتهم، ويُسرّون بعمل مشيئته!

٤. برنابا: المساندة

كان برنابا شخصًا مُشجِّعًا، إذ كانت له قدرة خاصة على مساندة الآخَرين في نموهم الروحي. بدأ أولاً بشاول، ثم بالمؤمنين الجدد في أنطاكية (٢٧:٩، ٢٣:١١)، وفي أعمال ٤٣:١٣ أقنع المؤمنين أن يثبتوا في النعمة، وعندما تخاذل يوحنا مرقس كان برنابا هو مَن أعطاه فرصةً ثانية (٣٩:١٥)، وكان دائمًا يشدد أنفس التلاميذ ويعظهم أن يثبتوا في الإيمان (٢٢:١٤). وقد جعلته هذه الخدمة الخاصة بركةً للكثيرين في سعيهم، لأن المسير مع الله قد يكون محبِطًا فيرغب البعض في الاستسلام، ففي هذه الأوقات ينبغي أن يتقارب المؤمنون معًا لتوفير المساندة والتشجيع، ومَن يقومون بهذه الخدمة يباركون الآخَرين بتوجههم الإيجابي من نحو الحياة المسيحية.

٥. أبلّوس: الفكر الكتابي

كُتِب عن أبلّوس أنه «مُقْتَدِرٌ فِي الْكُتُبِ»، وهو الأمر الذي أنشأ حرارة في التعليم، لكنه لم يكن له الفهم الكامل للحق الإلهي، ثم شرح له أكيلا وبريسكلا بأكثر تدقيق طريق الرب. وإذ تسلّح بكلمة الله، كانت له خدمة في إخائية إذ «سَاعَدَ كَثِيراً بِالنِّعْمَةِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا... مُبَيِّناً بِالْكُتُبِ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ» (٢٧:١٨). فعندما يكون هناك احتياج للنمو، تصبح الكلمة هي مصدر الغذاء.

هناك احتياج في الكنيسة اليوم إلى رجالٍ لله حقيقيين. في كنائسنا رجال لديهم المواهب والتعليم والثروة؛ رجال قادرون على القيادة والتنظيم والإدارة، لكن الاحتياج الأكبر هو لرجال يستطيعون أن يقرّبوا الآخَرين من الله، ولا يستطيع القيام بذلك سوى مَن يعرفونه شخصيًا.

موضوع العدد (٤)

الكنيسة في سفر الأعمال

قلب واحد ونفس واحدة

بقلم: وارن هندرسون

ما الذي نحتاجه؟ يحرّض بولس مؤمني فيلبي قائلاً: «فَتَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْراً وَاحِداً وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئاً وَاحِداً» (في ٢:٢)؛ والسؤال هو: كيف يمكن لمؤمنين من خلفيات ثقافية وعرقية مختلفة، وذوي مشاكل وصعوبات أيضًا مختلفة، أن يفتكروا فكرًا واحدًا؟ يكشف الرسول عن الإجابة في قوله «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً» (في ٢:٥). عندما يكون لكل المؤمنين فكر المسيح المتضع، سيكون لهم جميعًا نفس الفكر؛ وهو فكر غير منتفخ بمجدٍ باطِل بل هو فكر يركز على احتياجات الآخَرين. لقد كان المسيح خادمًا للخدام قبل أن يكون ملك الملوك – فليكن فيكم هذا الفكر.

وبحسب سفر الأعمال، يبدو أن الكنيسة الأولى قد استمتعت بوحدانية الفكر «وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً» (أع ٤:٣٢). عندما يسلّم المؤمنون أذهانهم وقلوبهم وأنفسهم – نعم؛ أي كل ما يصنع منهم كائنًا حيًا– فساعتها فقط ستكون هناك وحدة كاملة في جسد المسيح، لأن جسده لا ينبغي أن يتكون من أجسام غريبة تعمل ضدًا لعمله الإلهي من خلال الطموحات الفردية الأنانية. لقد أعلن لنا الله، من خلال جوهر ذاته، أنه حيث سكنت التقوى، فالفردية والوحدة أيضًا تتعايشان في تناغم تام.

ما الذي يحدث؟

كيف تتأثر الكنيسة المحلية عندما يكون كل المشتركين فيها متحدين تمامًا مع المسيح؟ من الواضح أنه كانت للكنيسة الأولى هذه الوحدة مع المسيح، وما زالت آثارها ظاهرة حتى هذا اليوم. وسنأتي الآن إلى سبعة أمثلة على وحدة الكنيسة، ونشير إلى نتائجها التبشيرية التي يمكننا وصفها بالمعجزية.

مثال ١: «هَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ كَانُوا يُوَاظِبُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلاَةِ وَالطِّلْبَةِ مَعَ النِّسَاءِ» (١:١٤). «وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعاً بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (٢:١).

النتيجة: «وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (٢:٤)، «وَانْضَمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ» (٢:٤١).

مثال ٢: «وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُواظِبُونَ... بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (٤٦:٢).

النتيجة: «وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ» (٤٧:٢).

مثال ٣: «وَصَعِدَ بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا مَعاً إِلَى الْهَيْكَلِ» (١:٣).

النتيجة: «وَكَانَ رَجُلٌ أَعْرَجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يُحْمَلُ... وَثَبَ وَوَقَفَ وَصَارَ يَمْشِي وَدَخَلَ مَعَهُمَا»، «وَكَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا الْكَلِمَةَ آمَنُوا وَصَارَ عَدَدُ الرِّجَالِ نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفٍ» (١:٣، ٤:٤).

مثال ٤: «رَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ صَوْتاً إِلَى اللهِ» (٢٤:٤)، «وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ» (٣٢:٤).

النتيجة: «وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِكَلاَمِ اللهِ بِمُجَاهَرَةٍ» (٣١:٤).

مثال ٥: «وَكَانَ الْجَمِيعُ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ فِي رِوَاقِ سُلَيْمَانَ» (١٢:٥).

النتيجة: «وَكَانَ مُؤْمِنُونَ يَنْضَمُّونَ لِلرَّبِّ أَكْثَرَ جَمَاهِيرُ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ» (١٤:٥).

مثال ٦: «وَكَانُوا لاَ يَزَالُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ مُعَلِّمِينَ وَمُبَشِّرِينَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٤٢:٥).

النتيجة: «وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ إِذْ تَكَاثَرَ التَّلاَمِيذُ...» (١:٦).

مثال ٧: «حَدَثَ تَذَمُّرٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ عَلَى الْعِبْرَانِيِّينَ أَنَّ أَرَامِلَهُمْ كُنَّ يُغْفَلُ عَنْهُنَّ فِي الْخِدْمَةِ الْيَوْمِيَّةِ» (١:٦)، ونلاحظ هنا أنه للمرة يظهر الاختلاف، ويتوقف العمل التبشيري.

النتيجة: بعد أن أعطى الرسل تعليمات للكنيسة باختيار شمامسة للاهتمام بخدمة الأرامل، مما أدى إلى حل المشكلة، نقرأ «فَحَسُنَ هَذَا الْقَوْلُ أَمَامَ كُلِّ الْجُمْهُورِ» (٥:٦)، وإذ عاد الفكر الواحد ثانيةً، نقرأ «وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ تَنْمُو وَعَدَدُ التَّلاَمِيذِ يَتَكَاثَرُ جِدّاً فِي أُورُشَلِيمَ» (٧:٦).

وملخصّ هذه الأمثلة هو أن الكنيسة كانت ناجحة في التبشير عندما كانت هناك وحدةٌ وفكرُ المسيحِ، أما عندما ظهرت الانقسامات والتحزّبات في الكنيسة فقد فسدت شهادتها وانطفأ الروح وانقطع الثمر. والدرس لنا جميعًا هو أن نمسك بفكر المسيح، الأمر الذي سينتج الوحدة في الكنيسة لأن الجميع سيسعون وهدفهم الواحد هو أن يؤول كل شيء لمجد الله. وقد بيّن الربُ – عشيّة آلامه– الارتباط الوثيق بين الوحدة وإظهار مجد الله «وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا

أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ» (يو ١٧:٢٢). فعندما تكون الكنيسة موحّدة، يظهر فيها مجد الله، ويأتي غير المُخلَّصين إلى المسيح.

ماذا نستطيع أن نفعل؟

ترك أنتوني نورِس جروفز عمله المربح في طب الأسنان ليصبح مرسلاً في الهند في ثلاثينات القرن التاسع عشر، فوزّع هو وزوجته كل ثروتهما على الفقراء في انجلترا، واتجها إلى الهند متكلين في كل احتياجهما على الرب. وقد كتب سيرتهما ج.هـ. لانج ذاكرًا قلب جروفز من نحو خدمة الإنجيل، الوحدة المطلوبة بين العاملين في هذه الخدمة لتتميمها: "عندما يدخل الخلاف بين العاملين، فإما أن يفترقوا كما فعل بولس وبرنابا، وإما أن تذبل الخدمة من جذورها، لأن الوحدة الروحية هي القوة الروحية."[١]

لن يحدث أن يتمجد الله بأن يتحد جميع المؤمنين معًا، إلا عند مجيء المسيح من أجل كنيسته، فيتحقق عندها الوعد المجيد بأن يتحد جميع الإخوة معًا (أف ٤:١٣). وحتى يحدث هذا دعونا نتحد مع المؤمنين من حولنا حتى تتم المهمة العظيمة تمامًا. عندما يكون لنا فكر المسيح، سنستطيع أن نصلي حتى يكون مقاومونا سببًا في تقدّم إنجيل المسيح، كما فرح بولس بخدمة الإنجيل التي قدّمها مقاوموه بالرغم من افترائهم عليه أثناء خدمتهم (في ١:١٧). ولماذا فرح؟ لأنهم كرزوا بالمسيح!

كتب وارِن ويرزبي قاصًا مثالاً حديثًا عن إنكار الذات الذي تمثّل فيه فكر المسيح: "من الحقائق التاريخية، أن المبشرَين الإنجليزيين العظيمين جون وسلي وجورج وايتفيلد قد اختلفا من جهة مسائل عقائدية، وقد كان كلا منهما ناجحًا جدًا، يبشّر الآلاف من الناس، ويرى الجموع تأتي إلى المسيح. وقيل أن أحدهم سأل وسلي إن كان يتوقع أن يرى وايتفيلد في السماء، فأجاب: لا أظن. فقال سائله: أي أنك لا تظن أنه مؤمن؟ فأجاب وسلي: بل هو مؤمن طبعًا، لكنه سيكون قريبًا جدًا من عرش الله، وأنا سأكون بعيدًا لدرجة أني لن أستطيع أن أراه".

فبالرغم من أنه اختلف مع أخيه في بعض المسائل، إلا أن وسلي لم يُضمِر له حسدًا في قلبه، ولم يحاول أن يعيق خدمة وايتفيلد[٢].

---

[١] G. H. Lang, Anthony Norris Groves (Paternoster Press, London: 1949), p. 197

[٢] Warren Wiersbe, The Bible Exposition Commentary, Vol. 2 (Victor Books, Wheaton, IL: 1989), p. 69

المؤسسة السماوية!

طالما امتلأ التاريخ البشري بمؤسسات وهيئات مختلفة، تنوعت في أهدافها وفي سياساتها وفي أسلوبها، لكن يظل هناك قاسم مشترك واحد بينها جميعًا هو أنها "صناعة الأرض"، ونتاج فكر الإنسان وعمله.

إلا أنه في عالم اليوم، توجد مؤسسة واحدة وحيدة، ليست من الأرض، وليست من نتاج فكر الإنسان ومجهوداته، ولا من صنع الدول متقدمة كانت أم متأخرة. إنها "الكنيسة"، والمقصود بالطبع ليس المبنى المسمى كذلك، بل – بحسب كلمة الله – هي جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمسيح، الذين جذبهم الآب المحب، وفصلهم الروح القدس عن هذا العالم، وربطهم بالمسيح الممجد في الأعالي، وقد سكن فيهم روح الله مكونًا منهم «مسكنًا لله في الروح» (أفسس٢: ٢٢) وهم بعد هنا على الأرض. إن هذا الكيان الفريد الطابع، الذي أعلن عن تأسيسه مؤسسة، رأس الجسد، وعريس الكنيسة، ربنا المعبود يسوع نفسه، معلنًا أن «أبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت١٦: ١٨) وقد كونه الروح القدس في يوم الخمسين (أعمال٢) سيبقي إلى آباد الدهور معرضًا لمجد الله إزاء كل الخليقة، وذلك في المستقبل القريب جدًا (رؤيا٢١: ١٠، ١١).

أيها القارئ العزيز: كم من ملايين في يومنا الحاضر يصرفون الوقت والجهد والمال طلبًا للالتحاق بمؤسسة راقية أو الانتساب إلى هيئة مشهورة أو أخذ مكان في كيان كبير ذي قيمة (بحسب وجهة نظرهم). إلا أن هذه كلها إلى زوال، فالناس ترحل، والمؤسسات نفسها وإن طال عمرها هي أيضًا ستنتهي.

أما الكنيسة، فستظل هي أرقى هيئة شهدها هذا العالم، من حيث مصدرها السماوي، ودعوتها واختيارها غير المرتبط بالزمان، أزليًا، ومن حيث ارتباطها الروحي بالله، ومن حيث نوعية ارتباط أعضائها بعضهم البعض، ومن حيث أمجادها التي ستلمع بكل بهاء في مجد السماء حيث مآلها المحتوم والوشيك.

ألا تشتاق للحاق بهذه المؤسسة السماوية، قبل أن يدوي بوق السماء معلنًا رحيلها نهائيًا عن هذا العالم وإلى غير رجعة، بعد قليل جدًا؟ إن الطريق إلى ذلك هو بالتوبة عن خطاياك، وقبول المسيح مخلصًا شخصيًا لحياتك، وإذ تقبله تُقبل على الفور عضوًا حقيقيًا في جسده الكريم، وحجرًا

حيًا في مسكنه العظيم. ليتك تتعقل ولا تخسر الفرصة الوحيدة التي تستحق أن يُقال عنها بالحق والصدق أنها "فرصة العمر".

بقلم: زكريا عوض الله

جئنا سريعًا

يا سيد العرش ما أبهاك تقتدرُ   جلسْتَ في العرش تُحيي مَنْ لك نظروا
أنت الحياة ومن عاداك قد هلك   غطَّى أعاديك ماء البحر وانتحروا
فرعون مات وكل جيوشه غرقتْ   وإلهه غاص والفرسان قد دُحروا
أما الذين فُدوا بالدم قد خلصوا   ورنّموا عاليا بالله وافتخروا
تهدي برأفتك العلياء شعبك يا   ربَ الجنود ومَنْ في الحرب تقتدرُ
تهديه للمسكن القدسيّ في العليا   في بيتك العالي حيث العرسُ يُنتظرُ
لابد تكمل المشوار غايتَه   والغاية العرس في العلياء يُعتبرُ

* * *

أحببتني سيدي وبذلتَ نفسَك لي   وليس أعظم من ذا الحب يَغتفرُ
الحب حبك ما أسماه مفتديا   ويقيم من موته من ضَمَّه القبرُ
وهذا حُبك يا فاديَّ يشبعني   فليس ينظر للخرنوب ذي بَصرُ
وذي قيامتك العلياء ترفعني   لشخصك السامي أحظاه وأنتصر
فأحيا لا أنا بل فاديَّ يحيا بي   قد مُتَّ عن نفسي قد بادنيَ الخطر

* * *

حَوّلْ عيونيِ إليك سيدي أبداً   أنت الحبيب وفيك النصر يُدحر
حَوّلْ عيونيِ عن البُطْل الذي حَولي   إليك أنت فإن البُطل مُحتقر
حَوّلْ عيونيِ فإنك أنت غايتها   وقرة العين أنت الحق يُعتَبر
ما غيركَ يشبعُ القلبَ ويبهجه   الكل غيرك بئر ما بِه مطَر
وترفع النفس معْك في العلا جَلسَتْ   فوق العداةِ وأنت الرأس تقتدر
أنت العريسُ وأنت الغاية حقًا   فيك الرجَاء وفيك العرسُ يُنتَظر
جئنا سريعا فإن الوعد مُنتظَرُ   جئنا سريعا فقد أعيانا ذا السهر
والمجد لاسمك لابد سنُختَّطفُ   طوبي لمن لك يَنتظرُ ويَصطبرُ

دراسات مسلسلة بقلم: تشارلس ماكنتوش

حياة داود

تحدثنا في العدد السابق عن سر نصرة داود الكامن في إيمانه الحقيقي وثقته في الله، ذلك الإيمان الذي لا يستند على الوسائل البشرية، بل ويعتبرها بمثابة تجربة له. وتوقف الحديث عند سلاح داود البسيط الذي كان وراء هذا الإيمان، ونواصل في هذا العدد التأملات.

نتائج الإيمان:

إن الإيمان دائماً يُكرم الله، والله بدوره يُكرم الإيمان. فقد سبقت الإشارة إلى أن داود وضع نفسه بين يدي الله والنتيجة الرائعة لذلك كانت هي النصرة الكاملة المجيدة.

«فتمكن داود من الفلسطيني بالمقلاع والحجر. وضرب الفلسطيني وقتله. ولم يكن سيف بيد داود».

نصرة جلية! وثمار رائعة للإيمان البسيط في الله، كم يُشجع هذا القلب على أن يطرح عنه كل ثقة جسدية ويلتصق بالمصدر الوحيد للقوة الحقيقية.

لقد كان داود هو الأداة المغبوطة التي استُخدمت في إنقاذ إخوته من تهديدات الفلسطيني المريرة والمرعبة. لقد جاء في وسطهم بعد أن كان في عزلة الحياة الرعوية، كان مجهولاً ومحتقراً رغم أنه ملك إسرائيل الممسوح، لقد ذهب بمفرده ليواجه عدو الجماعة، ولقد أرداه قتيلاً وأشهره(فضحه)علانية، لقد فعل كل هذا بصفته عبدًا لله وعبدًا لإسرائيل، وبطاقة الإيمان الذي لا تزعزعه الظروف. كان هذا الخلاص عظيماً فقد حصلوا عليه بضربة واحدة. لم تكن هناك مناورات بين الجيوش، ولم تظهر مهارة القواد ولا بسالة الجنود. فقد أنحسم الأمر كله بحجر أملس من الوادي رمته يد الراعي، كانت هذه هي نصرة الإيمان.

«ولما رأي الفلسطينيين أن جبارهم قد مات هربوا». يا لبُطل الآمال المؤسسة على موارد الجسد الفانية رغم كل عظمتها الظاهرية. ومن يرى الجبار والغلام على وشك الانهماك في الحرب ولا يرتعد خوفاً على مصير الغلام؟ وهل كان أحد يفتكر أن كل هذا الجيش الضخم ينتهي به المطاف إلى هذه الهزيمة النكراء بواسطة مقلاع وحجر؟ لكن انظر آخرتهم، لقد سقط جبار الفلسطينيين وسقطت معه كل آمالهم وأحلامهم الغالية.

«فقام رجال إسرائيل ويهوذا وهتفوا ولحقوا الفلسطينيين». نعم ليهتفوا الآن، لأن الله قد خرج أمامهم وأنقذهم من قوة أعدائهم، لقد كان عاملاً باقتدار بيد شخص لم يعرفوه كملكهم الممسوح، لكن سجاياه الحميدة تجذب كل قلب منهم.

إعجاب يوناثان بداود

بين الآلاف التي رأت النصرة، نقرأ عن شخص أُخذ قلبه تماماً في حب غيور للمُنتصر. ولاشك أنه حتى شخصاً عديم التفكير لابد أنه سيمتلئ إعجاباً بهذه النصرة، ولاشك أيضاً أنها أثرت في الأفراد بدرجات متفاوتة،

فهذه الأوقات ينطبق عليها إلى حد ما أنها «تعلن أفكار من قلوب كثيرة»(لو٢: ٣٥). فالبعض سَيحقد، والبعض سيُعجب، البعض سيفرح بالنصرة والبعض بالأداة المستخدمة، والبعض سينجذب إلى إله صفوف إسرائيل«الذي أتى إليهم وسيف مسلول بيده».

لكن كان هناك قلب واحد امتلأ بمشاعر الولاء والحب فانجذب تماماً إلى شخص المنتصر، هذا هو يوناثان. «وكان لما فرغ من الكلام أن نفس يوناثان تعلّقت بنفس داود. وأحبه يوناثان كنفسه»(ص١٨: ١).

لاشك أن يوناثان قد شارك بأوفر نصيب في الفرح بنصرة داود، لكن كان هناك ما هو أهم من ذلك، فلم تكنْ فقط النصرة، بل شخص المنتصر هو الذي خلب قلب يوناثان.

أراد شاول بكل أنانية أن يحتفظ بداود نظراً لبسالته وليس حباً في شخصه، بل لتعظيم ذاته، لكن يوناثان لم يكن كذلك، لقد أحب داود، فداود قد أزال عن كاهله حملاً ثقيلاً، وملأ فراغاً كبيراً في قلبه، إذ أن تكرار تحدي الجبار كل يوم قد أنشأ فقراً في إسرائيل، كانت العين تجوب الصفوف بحثاً عن شخص لديه القدرة على مواجهة هذا الاحتياج المُلحّ، لكن عبثاً بل بينما كانت كلمات الجبار المتبجحة تسقط على مسامعهم نقرأ أن:«جميع رجال إسرائيل لما رأوا الرجل هربوا منه وخافوا جداً».

نعم، جميعهم هربوا– حين سمعوا كلماته ورأوا حجمه، وما أبشع الفراغ الذي تُرك في القلب في هذه المناسبة، وحين ظهر شخص محبوب ليملأه– فهل نستغرب أن قلب يوناثان كله قد أُخذ في حب عميق لهذا الشخص؟.

لنتذكر أن داود نفسه وليس عمله فقط هو الذي لمس قلب يوناثان، لاشك أنه قد أُعجب بنصرته، لكنه أُعجب أكثر بشخصه.

داود رمز للمسيح

نرى في جليات قوة العدو التي بها استعبد النفس بقسوة، ولم يكن بإمكان أي بشر أن يتدخل للإنقاذ، وكان التحدي يتكرر يوماً تلو الآخر، ومن جيل إلى جيل كانت ربوات من نسل آدم الساقط تسمع هذا القول المأثور«وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة»(عب٩: ٢٧). وكانت الإجابة الوحيدة هي نفس إجابة الإسرائيليين في وداي البطم الرعب، الرعب الشديد، «خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية»(عب٢: ١٥). كانت هذه هي إجابة الإنسان.

لقد شعروا بالاحتياج لكن لم يوجد من يستطع أن يوفيه واشتاق قلب الإنسان إلى حلّ، لكن عبثاً، إذ أن مطاليب العدل لم تُسددّ، فشبح الموت والقضاء يعبس وجهه من بعيد، ولم يستطع الإنسان إلا أن يرتعد من هذا المنظر.

لكن مبارك إله كل نعمة، فقد ظهر منقذ، شخص لديه القدرة على أن يخلص– هذا هو ابن الله، داود الحقيقي، الملك الممسوح على إسرائيل وعلى كل الأرض. لقد سددّ الاحتياج وملأ كل فراغ. أشبع أشواق القلب. لكن كيف؟ وأين؟ ومتى؟

روعة كفارة المسيح

بموته على الجلجثة، في تلك الساعات الرهيبة التي فيها شعرت كل الخليقة بخطورة ما يحدث. نعم قارئي العزيز، لقد كان الصليب هو أرض المعركة التي أُحرزت فيها النصرة، هناك أُخِذ من القوي كل أسلحته، وهناك خُرِّب بيته، هناك وُفيت كل مطاليب العدل تماماً، وهناك مُحي الصك الذي كان علينا وسُمرّ في الصليب، هناك أيضاً مُحيت لعنة كسر الناموس بدم الحمل، وبذات الدم وفَّى احتياج الضمير المذنب، فهو «دم كريم كما من حمل بلا عيب»، هذا هو الذي ضمن كل شيء بالنسبة للنفس المؤمنة.

فالخاطئ المسكين المرتعد الذي يقف هناك ويرى المعركة يتهلل بنهايتها المجيدة إذ يشاهد أن كل قوة للعدو مُنطرحة أرضاً بضربة واحدة من هذا المنقذ العظيم، ويشعر بالحمل يتدحرج عن روحه الرازحة، وينسكب في نفسه فيض سلام وفرح إلهي، فيسير في ملء قوة الحرية التي اشتراها له الدم وأعلنها له الإنجيل.

ألا يُحب هذا الشخص المُنقَذ ذاك الذي أنقذه؟!. بلى، فهو لن يُحبّ عمله فقط، بل أيضاً سيُحب شخصه، وكيف يحدث غير ذلك؟ فمن شعر بعمق احتياجه ورزحَ تحت ثقل خطاياه، قطعاً سيجد في داخله محبةً وعرفاناً لهذا الشخص المجيد الذي ملأ احتياجه وأزال عنه عبء خطاياه.

إن عمل الرب يسوع ثمين بشكل غير محدود، وهو يكفي تماماً لكل احتياج الخاطئ ويستحضر النفس إلى حالة فيها تستطيع أن تتأمل في روعة شخصه.

باختصار، فإن عمل المُخلَّص هو للخاطئ أما شخص المُخلَّص فهو للمؤمن.

إتباع المسيح

قد يكون هناك إتباع صوري للمسيح بينما يظل القلب بارداً غير مُتعلَّق بشخصه ففي الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا نجد جموعاً حاشدة تتبع الرب يسوع لأغراض أنانية، وقد أضطر هو أن يقول لهم ذلك:«الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم».

فهؤلاء لم يطلبوه لما هو عليه في ذاته، بل لمجرد امتيازات جسدية، ولذلك فإنه حين امتحنهم بهذه العبارة الفاحصة «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم»- عندئذ نقرأ «من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه» (يو٦: ٦٦).

إن أكل جسده وشرب دمه، يعني أن النفس تجد طعامها وشبعها في تقديم المسيح نفسه كذبيحة لأجلنا. فإنجيل يوحنا كله هو وصف لمجده الشخصي كالكلمة المتجسد. الذي يُقدَّم لنا بصفته«حمل الله الذي يرفع خطية العالم». لكن الإنسان الطبيعي لم يقبله على أنه كذلك. ولذلك نجد أنه «رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه»نعم فالأغلبية لا تقدر أن تحتمل فاعلية هذا الحق في نفوسهم. لنستمع الآن إلى شهادة شخص متعلم من الله«أجاب سمعان بطرس يا رب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحيّ»(يو٦: ٦٨، ٦٩)

هنا نجد شيئين: ما كان لديه لأجلهم وما هو عليه بالنسبة لهم. كانت لديه حياة أبدية ليعطيها لهم، وكان هو ابن الله الحيّ. بالأولى ينجذب إليه الخاطئ وبالثانية يرتبط به القديس. فهو لا يسدد فقط كل احتياجاتنا كخطاة، لكنه أيضاً يشبع عواطفنا ورغباتنا كقديسين بشخصه.

ما قادنا إلى هذه السلسلة من الأفكار هي تلك المقابلة المؤثرة جداً بين داود ويوناثان، بعد ما انتهت المعركة، لقد رفع آلاف الإسرائيليين أصواتهم بالهتاف وتبعوا الفلسطيني ليحصدوا ثمار النصرة بينما كان يوناثان يُمتِّع نفسه بشخص المنتصر.

«وخلع يوناثان الجبة التي عليه وأعطاها لداود مع ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته». هذه هي المحبة التقية البسيطة، وقد استولى عليها هدف واحد جذبَ بدون منازع، فالمحبة تجرَّد نفسها من أجل منْ هم موضوعها.

لقد نسي داود نفسه وجازف بحياته من أجل الله ومن أجل كل الجماعة، والآن يوناثان ينسى نفسه من أجل داود.

قارئي العزيز: لتتذكر أن المحبة للرب يسوع هي نبع المسيحية الحقيقية، والمحبة له تجعلنا نتجرد من أنفسنا ونستطيع أن نقول أن التخلي عن ذواتنا لنُكرم الرب يسوع هو أجمل ثمر لعمل الله في النفس.

هـــل عـــن الأخـــلاق يتحـــدثون
يـــا أيهـــا الـــرب الحنـــون
أن أعظـــم الأخلاقيـــات هـــي
الحـــب العميـــق لجلالـــك

أبطال المحبة

الكرام والمكارم...الأفاضل والفضائل

الأسماء الواردة في رومية ١٦ ودلالاتها الروحية

رفقاء الخدمة الجديرون بالإكرام (٢١-٢٤)

(٨) كَوَارْتُسُ...الأَخُ

«يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ...كَوَارْتُسُ الأَخُ»(ع ٢٣)

--

لا نعرف عن «كَوَارْتُسُ» شيئًا أكثر من قول الرسول بولس عنه «الأَخُ»، هذا اللقب الغالي الذي يُذكرّنا بالمحبة التي تجمع بين المؤمنين في كل مكان وتؤلف بينهم. فرغم اختلاف اللون والجنس واللغة, لكنهم جميعًا إخوة في الرب. ولقد قال الرب يسوع لتلاميذه «أَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ» (مت ٢٣: ٨)

وفي (٢بطرس ٣: ١٥) يتكلم الرسول بطرس عن الرسول بولس ويصفه بأنه «أَخُونَا الحَبِيبُ بُولُسُ...». بل إننا نلاحظ أن الرسول يوحنا, وهو يكتب سفر الرؤيا, وكان قد وصل إلى سن الشيخوخة, لم يستخدم أي لقب من ألقاب السلطان أو السيادة على القديسين, بل خاطبهم وعرَّف نفسه على أنه أخ وشريك لكل المؤمنين «أَنَا يُوحَنَّا أَخُوكُمْ وَشَرِيكُكُمْ...» والرسول يوحنا كان بالتأكيد يُقدّر هذا اللقب الغالي «الأَخُ», لأنه هو الذي ذكر في إنجيله قول الرب لمريم المجدلية: «اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وإِلهِي وإِلهِكُمْ» (يو ٢٠: ١٧)

والمؤمنون جميعًا إخوة لأنهم صاروا «رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ» (أف ٢: ١٩), فالرب يسوع المسيح إذ اتخذ مركزنا بكل ما يتعلق بنتائج هذا المركز, فقد أحضرنا -بموته وقيامته- إلى مركزه هو أمام الله باعتباره إنسانًا. وهنا نرى جماعة واحدة -«فَلِهذَا السَّبَبِ»- حيث المركز الذي صاروا إليه بواسطة عمله -التقديس- فإنه «لاَيَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً» (عب ٢: ١١)

«كَوَارْتُس» اسم لاتيني معناه "الرابع". وقد سبق ذكر أن «تَرتِيُوس» معنى اسمه "الثالث" (ع ٢٢). وكان الرومان يستخدمون الأعداد أحيانًا كأسماء أعلام, وخاصة بين العبيد؛ فليكن فالمهم أنهم مؤمنون وإخوة. وهكذا نرى أناسًا لهم مكانة بارزة في المجتمع, مثل «أَرَاسْتُسُ خَازِنُ الْمَدِينَةِ» (ع ٢٣), وآخرين عبيدًا, ولكنهم جميعًا واحد «فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» حيث «لَيْسَ عَبْدٌ ولاَ حُرٌّ» (غل ٣: ٢٨)

وفي افتتاحية الأصحاح تكلَّم الرسول بولس عن «أُخْتِنَا فِيبِي» (رو ١٦: ١، ٢), وفي ختام الإصحاح تكلم عن «كَوَارْتُسُ الأَخُ » (ع ٢٣). فالإخوّة المسيحية ترتفع فوق حاجز الجنس, ففي المسيح يسوع «لَيْسَ ذَكَرٌ وأُنْثَى» (غل ٣: ٢٨). ولقد حيّا الرسول في هذا الإصحاح تسعة نساء بأرق التحيات وأجملها.

ونلاحظ أيضًا أن الإخوّة المسيحية تخطت حواجز الجنسيات والقوميات المختلفة. ففي هذا الأصحاح نقرأ عن أكِيلاَ وأندرُونِكُوس ويُونيَاس وهِيرُودِيُون الذين كانوا يهودًا أصلاً, ونقرأ عن بِرِيسكِلاَّ وأُورْبَانُوس وأَمْبِلِيَاس وجُولِيَا الذين كانوا رومانيين, والبقية من اليونانيين, ففي المسيح يسوع «لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَيُونَانِيٌّ» (غل ٣: ٢٨)

لقد مات الرب يسوع المسيح ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يو ١١: ٥٢), وفي (غلاطية ٣: ٢٦_٢٨) نقرأ «لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ: لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وأُنْثَى, لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ»...ففي المسيح يسوع تختفي جميع الفوارق بالنسبة لمسألة القبول لدى الله. فاليهودي غير مُفضّل على الأممي, ولا أفضلية كذلك للحرّ على العبد, ولا يُعطي أيضًا للرجل مقامًا أرفع من المرأة. فبما أنهم جميعًا«فِي الْمَسِيحِ» فلذلك هم جميعًا على المستوى نفسه. وهذا طبعًا يشير إلى مقامنا السماوي وليس إلى حياتنا وحالتنا وخدمتنا الأرضية, فالله يؤكد الفروقات بين الرجل والمرأة في الحياة اليومية وفي خدمة الكنيسة العلنيَّة, بغير شك.

والرسول بولس في تسليماته التي يهديها للقديسين في رومية, يقدم لهم «كَوَارْتُس» بوصفه «الأَخُ» دون أن يُضيف وصفًا آخر. فلم يمدحه بكلمة "الأخ الأمين" أو "الأخ المخلص" أو "الأخ الحبيب". فهل كان كوارتس بالنسبة لبولس أقل من أن يوصف بالأمانة أو الإخلاص أو المحبة؟ كلا. إنما بولس كان بليغًا جدًا عندما قدم «كَوَارْتُس» بوصفه «الأَخُ» وسكت. فإنه بلا شك, كانت شدائد الرسول بولس فرصة لإظهار استعداد كَوَارْتُس للوقوف بجانبه بالقلب والتشجيع والتضحية من أجله «اَلصَّدِيقُ يُحِبُّ فِي كُلِّ وَقْتٍ. أَمَّا الأَخُ فَلِلشِّدَّةِ يُولَدُ» (أم ١٧: ١٧). وكان كَوَارْتُس «الأَخُ» الذي وجده بولس شريكًا مُخلصًا ومحبًا بالعمل والحق, لأن هذه هي المعاني التي تنطوي تحت وصف «الأَخُ» وهذا ما يجب أن يكون فيمن ندعوهم "إِخْوَةٌ". ولنسأل أنفسنا: هل هذا الوصف ينطبق علينا بكل معانيه الجليلة والجميلة؟

أيها الأحباء: إن الأخوّة المسيحية الحقيقية ليست شيئًا هينًا, بل هي أمر مُكلف...إنها تعني الحب, والحب العميق, الحب الذي يُسرّ بالبذل والتضحية, ويبتهج بالإيثار والعطاء. ولا يمكن أن

يكون أحدنا جديراً بلقب «الأَخُ» إذا لم يكن قد أعطى الجهد والتعب والمال والقوة لأجل الآخرين. وما أكثر الذين يدعون أنفسهم إخوة دون حق. إن الأُخُوّة الرخيصة هي أُخُوّة زائفة لأننا «بِهذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا, فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ. وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ, وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجًا, وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ, فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟ يَا أَوْلاَدِي, لاَ نُحِبَّ بِالْكَلاَمِ وَلاَ بِاللِّسَانِ, بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ! وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنُسَكِّنُ قُلُوبَنَا قُدَّامَهُ» (١يو ٣: ١٦_١٩). ويقول لنا يوحنا الحبيب أيضًا: «إِنْ قَالَ أَحَدٌ: "إِنِّي أُحِبُّ اللهَ" وَأَبْغَضَ أَخَاهُ, فَهُوَ كَاذِبٌ. لأن مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ, كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟ وَلَنَا هذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضًا» (١يو ٤: ٢٠, ٢١)

فالمحبة عند يوحنا أكثر من مجرد شعور أو عاطفة. إنها مبدأ يُحرك اليد ويفتح الجيب والبيت لأجل الإخوة. فإن لم يكن أنا بمواردي المحدودة, عونًا للأخ المعوز, وستراً لأخطائه, وحكمة لجهالته, ومبسوط اليد لحاجته, وباكي العينين لمحنته, ومسرور القلب لفرحه. إن لم أكن هذا لأخي, فلأصمت عن الإعلان بأني «أُحِبُّ اللهَ», وأني واحد من الذين لا يستحي المسيح أن يَدْعُوهُمْ إِخْوَةً (عب ٢: ١١)

****

وهكذا انتهى الرسول بولس من إرسال تسليمات وتحيات الأشخاص والأفراد الذين كانوا مصاحبين له وقت كتابة الرسالة إلى مؤمني رومية (ع ٢١_٢٤). ثم يستودع الرسول الإخوة– مرة أخرى– لنعمة الله «نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. أَمِينَ» (ع ٢٤ أنظر أيضًا ع ٢٠)

للمؤمنين الأحداث

نحو حياة أفضل

(سفر الخروج أصحاح١٥)

كثرت الشكوى في هذه الأيام من الضعف الروحي، فلا توجد قوة للنصرة على الخطية، أو لمواجهة العالم بإغراءاته ومضايقاته، أو للعمل المؤثر لمجد الرب، أو للسجود الروحي الصحيح. والواقع أن أيام الفشل هي الخلفية القاتمة التي تلمع في وسطها النهضات الروحية، لإفاقة كثيرين سقطوا في غيبوبة روحية، صحيح أننا – بحسب الكتاب، والواقع – لا ننتظر أو نتوقع نهضة تعم الكل، لكن المؤكد أنه بإمكان الكاتب والقارئ أن يحيا ناهضًا روحيًا في أحلك الأوقات ظلمة وفسادًا.

وفي هذا الإصحاح العظيم، أصحاح الترنيمة الأولي في الكتاب المقدس (بحسب ذكرها)، يمكننا تتبع ثلاث أفكار رئيسية، نحسب أنها تنفعنا في طريقنا"نحو حياة أفضل".

الأمر الأول: لا أفراح بعيدًا عن المسيح

ونعني بذلك الأفراح الروحية، الصحيحة والحقيقية، العميقة والدائمة. هناك أفراح كثيرة في الأرض لا غبار عليها مثل تلك المرتبطة بالنجاح أو الزواج أو أو....إلخ. وهي كلها أفراح نفسية مشروعة، إلا انها سطحية ومؤقتة، بخلاف أفراح الروح القدس.

«حينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب». «حينئذٍ»، فليس قبل أن تتم الكفارة وتعالج مشكلة الخطية والخطايا في نظر الله القدوس العادل (خروف الفصح – خر١٢)، وليس قبل الخروج من دائرة العالم (مصر) ورئيسه الحالي الذي هو إبليس (وكان فرعون رمزًا له) (خر١٤) وعبور الدينونة (البحر الأحمر)، ليس قبل ذلك يمكن للنفس أن تفرح وترنم.

إن معرفة المسيح المخلِّص هي أول طريق الفرح الحقيقي، والشركة مع المسيح الرفيق هي ضمان استمرار هذا الفرح الذي سنتمتع يملئه عن قريب في المجد معه.

الأمر الثاني: ترنيمتان وفريقان

من اللافت للنظر أننا في هذا الإصحاح نطالع لا ترنيمة واحدة بل اثنتين.

الأولي وردت في الأعداد(١–٨) وكانت بقيادة موسى، ورنمها بنو إسرائيل.

والثانية وردت في عدد(٢١) وكانت بقيادة مريم، ورنمت معها النساء.

وبينما نجد الترنيمة الأولي كبيرة في حجمها، غزيرة في أفكارها، عميقة في معانيها، تتجاوز الحديث عن الخلاص لتتأمل في شخص المُخلَّص وكفايته وعظمته وأمجاده، فإن الترنيمة الثانية اقتصرت الأمر كله، واختزلته في عمل الخلاص فقط لا غير!

وهنا نحن بصدد فريقين من المفديين: الأول أستهدف العمق في العلاقة مع الله، وظهر ذلك في ترنيمته، والثاني: اكتفى بأقل القليل من "الروحيات"، وظهر أيضًا في تسبيحته. والواقع أن كل أولاد الله يقفون إلى جانب أحد هذين الفريقين. وخطورة الفريق الثاني لا تكمن فقط في ضعف منسوب الترنيمة، وسطحية معانيها، الأمر الذي يمكننا أن نراه في قطاعات عريضة في المسيحية اليوم بكل أسف، حيث الضحالة الكتابية، والفقر الروحي، لكن المشكلة الأكبر أن هذا الفريق لا يتحمل ضغوط الحياة، أو إغراءاتها، أو مسئولياتها بشكل موفق. إنه يمثل لنا أصل المشكلة التي نحن بصددها الآن. وفي التاريخ المقدس طالما رأينا أمثلة لهذا الفريق نظير لوط، وامرأة صرفة صيدا، في مقابل أفاضل يقفون إلى جانب الفريق الأول من أمثال إبراهيم، والمرأة الشونمية. تُرى على أي من الجانبين يقف الكاتب والقارئ الآن؟.

إن الانتقال من فريق الضحالة والضعف إلى فريق العمق والقوة أمر حتمي إن اتبعنا نهضة حقيقية. ولكنه أمر مُكلِّف، يتطلب منا اجتهادًا في معرفة المُخلِّص نفسه: كتابيًا واختباريًا، وفي دراسة أبعاد خلاصنا العظيم «بهذا المقدار» (عب٢: ٣). إن دراسة متعمقة لرسائل العهد الجديد تقودنا إلى ذلك في حين أن دراسة الأناجيل بعمق تزيدنا عمقًا في معرفة "يسوع" نفسه.

الأمر الثالث: مارة، والمياه المرة

وهذا ما نراه في آخر هذا الإصحاح. وهنا نتعلم درسًا مزدوجًا بخصوص مياه مصر، أي موارد هذا العالم:

أولاً: أنها غير مروية ثانيًا: أنها غير صحية

أما كونها غير مروية فهذا ما اختبره الملايين عبر السنين، ونعرفه جميعًا بالاختبار، وهو ما قال عنه المسيح للمرأة السامرية «كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا (أي يزداد عطشًا)» (يو٤: ١٣).

وبالاختيار الواسع لكل مُتَع الدنيا قال الجامعة «باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس» (جا١: ٢، ٢: ١١).

لكنها أيضًا غير صحية. فمياه مصر تحمل معها أمراض مصر. وكل ينابيع هذا العالم من ثقافة وإعلام وفنون ملوثة إن لم تكن بدنس هذا الدهر فبحماقة وجهل أفكاره، إن لم يكن بكل ذلك معًا!

إن الحياة الجديدة في المسيح لها مياه جيدة ترويها، مياه كلمه الله المروية والمطهرة، ومياه عمل الروح القدس في المؤمن الذي يفيض فيه سجودًا رأسيًا لأعلى (يو٤) وشهادة مؤثرة أفقيًا لمن حوله (يو٧).

ليتنا نعتبر من دروس ترنيمة الخلاص،

فتعرف حياتنا معنى الترنيم من الأساس بمعرفة الرب المخلص

وتنمو أفراحنا في الرب طوال الرحلة بمقدار نمونا في معرفته

ونرفض ينابيع العالم الأرضية، ونرتوي من ينابيع السماء العلوية

وبهذا نكون بالفعل متجهين"نحو حياة أفضل"

من قاموس الكتاب

نبوّة زكريا

١. الدعوة إلى التوبة ١: ١-٦

٢. الرؤى الثمانية لزكريا النبي ١: ٧-٦: ٨

* الخيل التي بين شجر الآس (١: ٧- ١٧)
* الأربعة قرون والأربع صُنّاع (١: ١٨-٢١)
* الرجل الذي معه حبل القياس (٢: ١-١٣)
* تطهير يهوشع؛ الكاهن العظيم (٣: ١-١٠)
* المنارة الذهبية والزيتونتان (٤: ١-١٤)
* الدرج الطائر (٥: ١-٤)
* المرأة الجالسة وسط الإيفة (٥: ٥-١١)
* الأربع مركبات (٦: ١-٨)

٣. تتويج يهوشع ٦: ٩-١٥

٤. السؤال الخاص بالصوم ٧: ١-٣

٥. الرسائل الأربع لزكريا ٧: ٤-٨: ٢٣

* توبيخ الرياء (٧: ٤-٧)
* التوبة عن العصيان (٧: ٨-١٤)
* استرجاع الأمة (٨: ١-١٧)
* فرح الأمة مستقبلاً (٨: ١٨-٢٣)

٦. نبوّة زكريا ٩: ١-١٤: ٢١

الوحي الأول: رفض المسيّا (٩: ١-١١: ١٧)

* القضاء على الشعوب المحيطة بالأمة (٩:١-٨)
* مجيء المسيّا (٩: ٩-١٠: ١٢)
* رفض المسيّا (١١: ١-١٧)

الوحي الثاني: مُلك المسيّا (١٢: ١-١٤: ٢١)

* خلاص الأمة (١٢: ١-١٣: ٩)

❋ مُلك المسيح (١٤: ١-٢١)

تلذذ بالرب

«تلذذ بالرب، فيعطيك سؤل قلبك» (مز ٣٧: ٤)

إن الإيمان هو الأمر الرئيسي، والوحيد في كل الوجود الذي يبهج قلب الرب وينعشه حقًا. إنه يثق في الرب ببساطة، ونحن نرتاح ونطمئن تمامًا على ذلك. فالإيمان الذي يثق في الرب ببساطة، هو نفسه الإيمان الذي يمكن أن يحبه ويخدمه ويسبحه. فالله يبتهج بابنه – له المجد – ويجب أن يكون ذلك هدفنا الثابت، إذ نتقدم به – كموضوع مسرته – إلى الله كما ويجب أن يكون الرب يسوع نفسه أيضًا هو موضوع سجودنا وعبادتنا، وهذا سيحدث تلقائيًا عندما نكون تحت قيادة الروح القدس. ولكن في أغلب الأحيان– بكل أسف – لا يتم ذلك معنا، فالقلب يعرف كم أننا في اجتماعاتنا المحلية، وفي شركتنا الخاصة، كثيرًا ما يكون مستوانا الروحي منخفضًا، وتحدونا روح الملل والتثاقل إذ ننشغل بذواتنا بدلاً من ربنا يسوع المسيح. وفي هذه الحالة نعيق عمل الروح القدس فينا، فلا يأخذ مما للمسيح ويخبرنا، وانشغالنا بأنفسنا يلزمه الحُكم على الذات بسبب طرقنا غير الصحيحة.

لماذا نلحظ ضعف المنسوب الروحي كثيرًا في اجتماعاتنا العامة؟ الضعف والجفاف، والتشتت؟ لماذا ترنيماتنا وصلواتنا المطولة علامة تلازمنا؟ لماذا لا يوجد إلا القليل من العبادة الحقيقية؟ لماذا هذا التشتيت والنشاط الذي بلا هدف محدد؟ لماذا لا يوجد في وسطنا إلا القليل مما ينعش قلب الرب، مما يمكن أن يكون خبزه وقد أنضجته النيران فيشتم إلهنا رائحة عطرة؟ إننا إذ نتأثر بحالتنا، وبالجو المحيط بنا من ضعف ومشاكل وصعوبات، فإننا نحرم الرب من طعام وقائده، ونسلبه بذلك حقه مما يشبع قلبه المحب.